بحمل الابل وبالبيت القايم علي عمد واحضر بهذا التشبيه في النفس ثم ذكر ما يلايم
المشبه به وهو الراس والسنام والعمود والمراد بالاسلام النطق بالشهادتين
لما جا مفسرا بهما في رواية احمد وانما كان هو الراس لانه لا حياة لشي من الاعمال
بدونه كما ان الحيوان لا حياة له بدون راسه والصلاة في العمود لانه الذي يقيم البيت
ويهيئه للانتفاع والصلاة هي التي تقيم الدين والجهاد هو ذروة السنام
لان ذروة الشي اعلاه والجهاد اعلي انواع الطاعات من حيث انه به يظهر
الاسلام ويعلو علي ساير الاديان واعلم انه اختلف في افضل انواع البر
بعد الفرايض قال مالك وابو حنيفة العلم ثم الجهاد لقوله صلي الله عليه
وسلم ما جميع اعمال البر في الجهاد الا كنقطة في بحر وما جميع اعمال الجهاد في طلب
العلم الا كنقطة في بحر وقال الشافعي افضلها الصلاة فرضا ونفلا وقال احمد
افضلها الجهاد وقد ورد انه صلي الله عليه وسلم سيل اي الاعمال افضل
فقال تارة الصلاة لاول وقتها وتارة الجهاد وتارة بر الوالدين وحمل
علي اختلاف احوال السايلين لانه صلي الله عليه وسلم كان طبيبا للخلق
فرب شخص كان الغالب عليه ترك المحافظة علي الصلاة فقال له الصلاة في
اول وقتها ورب شخص كان الغالب عليه ترك الجهاد فقال له الجهاد ورب
شخص كان الغالب عليه عدم بر الوالدين او اختلاف الازمان فرب عبادة في
زمن افضل من غيرها او ان من مقدرة اي من افضل الاعمال وعن ابي امامة
قال خرجنا مع النبي صلي الله عليه وسلم في غزوة من غزواته فمر رجل بغار
فيه شي من ماء وحوله شي من البقل فحدث نفسه بان يقيم في ذلك
الغار يشرب من الما ويصيب مما حوله من البقل ويتخلي عن الدنيا قال
لو اني اتيت النبي صلي الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فان اذن لي فعلت
والا لم افعل فاتاه فقال يا نبي الله اني مررت بغار فيه ما يقوتني من الما
والبقل فحدثتني نفسي بان اقيم فيه واتخلي عن الدنيا فقال النبي صلي الله
عليه

عليه وسلم اني لم ابعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكنني بعثت بالحنيفية
السمحا والذي نفس محمد بيده لغدوة او روحة في سبيل الله خير من
الدنيا وما فيها ولمقام احدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة وروي
الحاكم ان عثمان بن مظعون جا الي المصطفي صلي الله عليه وسلم فقال تحدثني
نفسي باني اترهب في رووس الجبال فقال ترهب امتي الجلوس في المساجد
وانتظار الصلاة فقال اريد ان اسيح في الارض فقال سياحة امتي الغزو
في سبيل الله فقال تحدثني نفسي ان اطلق امراتي فقال المهاجر من امتي
من هجر ما حرم الله تعالي فقال تحدثني نفسي ان لا اكل اللحم قال انا احبه
واكله وقال بعضهم

الجود بالمال جود فيه مكرمة   والجود بالنفس اقصي غاية الجود

قال الطيبي وانما خص هذه المرتبة العالية بالبا والاولي بعلي لان هذه المرتبة
اجمع واشمل لان المعني بامر الدين وهو مشتمل علي ابواب الخير وعلي ما قبله من نحو
تعبد الله الخ ولهذا اتي بالباقي المرتبة الثالثة الاتية واكدها بكله لكونه اجمع
منها وهذا النص في ينبهك علي جواز الزيادة في الجواب والسوال ضربان جدلي
وتعليمي وحق الاول مطابقة الجواب من غير زيادة ولا نقص وحق الثاني
ان لا يتحري المجيب الاصوب كالطبيب الرفيق يتوخي ما فيه شفا العليل
طلبه او لا ولما تكلم علي جهاد الكفار اخذ يتكلم علي جهاد النفس وقمعها عن
الكلام فيما يوذيها ويوذي به بقوله ثم قال له صلي الله عليه وسلم الا اخبرك
بملاك ذلك الامر كله اي بما يملكه ويضبطه او بمقصوده وجماعه
او بما يقوم به بمعني اذا وجدت كانت الاعمال كلها علي غاية من الكمال ونهاية
من صفا الاحوال لان الجهاد وغيره من غير اعمال الطاعات غنيمة وكف
اللسان عن المحارم سلامة ومن ثم قال صلي الله عليه وسلم من صمت نجا
والسلامة في نظر العقلا مقدمة علي الغنيمة قلت بلي يا رسول الله

Copyright © King Saud University